وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي السادس

الجزء الأول

محفوظة جميع الحقوق

لدار القرآن الكريم في العتبة الحسينية المقدسة

BP133.7 .A44 .M88 2026
ISBN 9789922778327

مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي المنعقد بعنوان: أثر أمير المؤمنين علي عليه السلام القرآني في مدونات المسلمين السادس (٦-٥/ ٢/ ٢٠٢٥ : كربلاء، العراق).
وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي السادس المنعقد بعنوان: أثر أمير المؤمنين علي عليه السلام القرآني في مدونات المسلمين : قراءة في المنهج والادوات / أقامه قسم دار القرآن الكريم التابع للعتبة الحسينية المقدسة بالتعاون مع كلية العلوم الإسلامية - جامعة كربلاء ورابطة التدريسيين التربويين بتاريخ (٥-٦/ ٢/ ٢٠٢٥) - الطبعة الأولى - كربلاء، العراق : العتبة الحسينية المقدسة، قسم دار القرآن الكريم، ٢٠٢٦م / ١٤٤٧ هـ.
٥ مجلد ؛ ٢٤ سم. - (العتبة الحسينية المقدسة؛ ١٧٦٣)، (قسم دار القرآن الكريم؛ ٤٧).
يتضمن ارجاعات ببليوجرافية.
١. علي بن أبي طالب عليه السلام الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة-٤٠ للهجرة - في القرآن - مؤتمرات.
٢. علي بن أبي طالب عليه السلام الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة-٤٠ للهجرة - أثره في تفسير القرآن وعلومه- مؤتمرات.
٣. حديث (علي مع القرآن) - دراسة.
٤. الإسلام والسياسة - مؤتمرات.
٥. السياسة الاقتصادية (الإسلام) - مؤتمرات.
٦. الإسلام وعلم الاجتماع - مؤتمرات.
٧. الإسلام والطب. أ. العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق). دار القرآن الكريم. ب. العنوان.
تمت الفهرسة قبل النشر في شعبة نظم المعلومات التابعة لقسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة.

239،3063

م ٣٥٩ مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي (٦: ٢٠٢٦: كربلاء)
وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي السادس المنعقد بعنوان أثر أمير المؤمنين علي عليه السلام القرآني في مدونات المسلمين : قراءة في المنهج والأدوات/ مؤتمر . ط١- كربلاء: دار القرآن الكريم، ٢٠٢٦، الجزء الأول، (٥٣٤ صفحة)، ٢٤ سم.
١ .الإمام الحسين بن علي عليهما السلام - الإمام الثالث- مؤتمرات .
م. العنوان.
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد: (١٧٤٦) - لسنة ٢٠٢٦م

الإخراج الفني: أمجد حامد الفتلاوي

وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي السادس

المنعقد بعنوان

أثر أمير المؤمنين علي القرآني في مدونات المسلمين

قراءة في المنهج والأدوات

وتحت شعار لن يفترقا

علي مع القرآن والقرآن مع علي

أقامه قسم دار القرآن الكريم التابع للعتبة الحسينية المقدسة

بالتعاون مع كلية العلوم الإسلامية - جامعة كربلاء ورابطة التدريسيين التربويين

وذلك بتاريخ (٥-٢٠٢٥/٢/٦)

Ministry of Higher Education & Scientific Research
Research & Development Directorate

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير
قسم التنسيق والتعاون العلمي

العدد: ب ت/ ١٢٥٤
التاريخ: ٢٠٢٥/١/٢٩

جامعة كربلاء/ السيد مساعد رئيس الجامعة للشؤون العلمية المحترم

م/ مؤتمر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إشارةً الى كتابكم ذي العدد (ع/ش.ع/ ٣٠٩) في (٢٠٢٥/١/٢١) ومرفقه الاوليات الخاصة بمؤتمر جامعتكم الموسوم (**أثر امير المؤمنين علي (عليه السلام) القرآني في مدونات المسلمين – قراءة في المنهج والادوات**) والمزمع انعقاده للمدة (٥-٦/ ٢/ ٢٠٢٥) ، وبالنظر لاستيفائكم المتطلبات المشار اليها ضمن الضوابط الخاصة بإقامة المؤتمرات التي تم اعمامها بموجب كتابنا المرقم بالعدد (ب ت٢/٥٣٥٩) في (٢٠٢٣/٦/٢١) ، بشأنه حصلت الموافقة على إقامة المؤتمر أعلاه.

... مع التقدير

أ.د. لبنى خميس مهدي
المدير العام لدائرة البحث والتطوير
٢٠٢٥/ ١ /٢٩

نسخة منه الى//

- مكتب الوزير/ للتفضل بالاطلاع ... مع التقدير
- مكتب وكيل الوزارة لشؤون البحث العلمي/ للتفضل بالاطلاع ... مع التقدير
- دائرة البحث والتطوير/ مكتب المدير العام/ للتفضل بالاطلاع ... مع التقدير
- دائرة البحث والتطوير / قسم التنسيق والتعاون العلمي /شعبة المؤتمرات / مع الاوليات.

م.م. مروه ١/٢٨

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

المقدِّمة:

الْحَمْدُ للهِ النَّاشِرِ فِي الْخَلْقِ فَضْلَهُ، وَالْبَاسِطِ فِيهِمْ بِالْجُودِ يَدَهُ، نَحْمَدُهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ، وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى رِعَايَةِ حُقُوقِهِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِأَمْرِهِ صَادِعاً، وَبِذِكْرِهِ نَاطِقاً، فَأَدَّى أَمِيناً، وَمَضَى رَشِيداً، وَخَلَّفَ فِينَا رَايَةَ الْحَقِّ، مَنْ تَقَدَّمَهَا مَرَقَ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا زَهَقَ، وَمَنْ لَزِمَهَا لَحِقَ، آلَه الطاهرين، صلوات الله عليهم أجمعين...

خلق الله تعالى أمثلةً للإنسان الكامل على مختلف العصور؛ فكان حجَّته في أرضه التي لا تخلو من مثالٍ لذلك الكمال، الذي هو بنفسه درجات مثَّل أعلاها نبيُّنا محمَّدﷺ، فكان المثال الأعلى في الكمال على مستوى المخلوق، ولو أردنا البحث عمَّن يليه في هذه المرتبة فلا بدَّ من الاستعانةِ بخطٍّ شروعٍ متَّفقٍ عليه يكشف الكمال، ولا يوجد مثل القرآن الكريم من يكشف ذلك بوصفه كلام الله تعالى الكامل، وعلى أساس ذلك يكون مقياس الكمال على شدَّة المصاحبة والانطباق مع كلام الله تعالى، ويكون ذلك ميزانًا للتفاضل، ومن هنا فقد اتَّفقت مصادر المسلمين على رواية قول النبيِّ محمَّدﷺ لأمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالبٍعليه السلام: ((عَلِيٌّ مَعَ الْقُرْآنِ وَالْقُرْآنُ مَعَ عَلِيٍّ، لَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ))، وهذا الحديث رواه الحاكم النيسابوريّ (ت: ٤٠٥ هـ) في المستدرك وصحَّحه، ووافقه الذَّهبيُّ (ت: ٧٤٨ هـ) - على ما فيه من تشدُّدٍ - في التصحيح، وروي أيضًا في غير ذلك من المصادر الأخر، أمَّا في مصادر أهل البيتعليهم السلام فلا خلاف في هذا الحديث ودلالته، وبذلك فهو متَّفقٌ على صحَّته ونسبته إلى رسول اللهﷺ، وهو لا ينطق عن الهوى فيكون مصداق هذا الحديث حقيقة لا مرية فيها، وعلى أساس ما تقدَّم أُقيم هذا المؤتمر العلميّ الدَّوليّ لدراسة حقيقة هذا الحديث وواقعه العمليّ عبر البحث في مدوَّنات المسلمين عن الأثر القرآني لأمير المؤمنينعليه السلام، وبيان ما له من علومٍ قرآنيَّة تفرَّد بها؛ وصولًا إلى الإثبات العمليّ لدلالة الحديث المذكور آنفًا.

وقد حدَّد المؤتمر مساره البحثي في بيان الحقائق القرآنيَّة على وفق منهج أمير المؤمنين عليه السلام، والبرهنة العمليَّة على كماليَّة القرآن الكريم بشموله لكلِّ نواحي الحياة، ومقاربة ذلك بحياتنا المعاصرة، ومعالجة أهمِّ مشكلاتها في ضوء ما قدَّمه أمير المؤمنين عليه السلام من أثرٍ قرآنيٍّ امتدَّ ليشمل الحاجات الإنسانيَّة على مختلف العصور، مركِّزًا في ذلك على حاجات الإنسان الكبرى التي لا تختلف باختلاف صور معيشته، ومن هنا فإنَّ المؤتمر يركِّز على الأثر القرآنيّ لأمير المؤمنين عليه السلام تفسيرًا وعلومًا، ومقاربته على وفق المناهج الحديثة في البحث العلميّ ومساراته المعرفيَّة في التخصصات الإنسانيَّة والعلميَّة؛ لتكون النتيجة تقديم أمير المؤمنين عليه السلام بوصفه حلًّا لكلِّ التقاطعات، والمرجعيَّة الأصيلة التي يمكن أن ننتهي إليها بمعيَّة القرآن الكريم.

وكان حاصل هذا المؤتمر مائة وخمسة وستِّين بحثًا في شتَّى التخصُّصات المعرفيَّة، عملت على استنطاق أهداف المؤتمر ومعالجة أهمِّ المسارات التي حُدِّدت بشأنِ إقامته، وما هذه الوقائع إلَّا واحدة من مخرجات المؤتمر نأمل من الله تعالى أن تكون مرضيَّةً من لدن الباحثين والمتخصِّصين والمتابعين بشكلٍ عام.

وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على محمَّد وآله الطاهرين.

لجنة التدقيق والمراجعة العلمية

الشيخ د. خير الدين علي الهادي سلمان/ رئيس قسم دار القرآن الكريم

السيد د. مرتضى عبد الأمير جمال الدين/ معاون رئيس قسم دار القرآن الكريم

م.د. عماد طالب موسى/ مدير مركز البحوث والدراسات القرآنية

أ.م.د. عمار حسن عبد الزهرة/ مدير تحرير مجلة هدي التقلين

م.د. بهاء مهدي مظلوم دويج/ مدقق لغوي

م.د. عمار عبد العباس عزيز/ مدقق لغوي

أمجد حامد شاكر/ مدقق فني

الفهرس

الإعجاز الطبّي للتمر (الرطب) لسيّدنا الإمام عليّ عليه السلام ١١

أ. د. محمد جياد النعيمي

الحجاج المُدَّعم في الخطاب العلويّ قراءة استكشافيّة في اللسانيّات الاجتماعيّة ٦٥

أ.د حازم طارش حاتم

نصُّ الدعاءِ وشعريّة تودوروف الأجناسيّة دعاءُ كميلٍ اختيارًا ٨٩

أ.د. خليل شكري هياس / أحمد علي الهادي سليمان

التربية والتّعليم في القرآن وفي تعاليم أمير المؤمنين عليه السلام ١٣٩

أ.د. دلال عبّاس

التوجيه اللغوي لأقوال أمير المؤمنين عليه السلام في المدوّنات القرآنيّة..... ١٧٧

أ.د. سليمة جبّار غانم

منهجُ أميرِ المؤمنين عليه السلام في أقواله في تفسير القرآن الكريم..... ٢٠٧

أ. د. سميّة حسن عليان

الأثر القرآنيّ ومكانة الإمام عليّ عليه السلام ودور أهل البيت في التفسير ٢٣٣

أ. د شاكر محمود مهدي هادي العزاويّ

الشاهدُ القرآنيُّ مقتضًى إقناعيٌ في خطبةِ الديباجِ للإمامِ عليٍّ بنِ أبي طالب عليه السلام..... ٢٥٧

أ.د. عبد الإله عبد الوهاب هادي العرداويّ

أثرُ الإمامِ عليّ عليه السلام في كتاب (البصائر والذخائر) لأبي حيّان التوحيديّ ٢٨٥

أ.د. عبد الهادي عبد الرحمن الشاوي

حِلِّيَّة المطعوم وتحريمه فيما رُوِي عن الإمام علي عليه السلام في سورة المائدة ٣١٣

أ. د. علي رحيم هادي الحلو

الأثرُ القرآني في حياة أمير المؤمنين عليه السلام وتفريعه في قصيدة (وجوهٌ لعليّ) ٣٣١

أ.د. علي مجيد البديري

إيثارُ أمير المؤمنين عليه السلام آيةُ ليلةِ المَبيت مصداقًا ٣٥٥

أ.د. علي نيكوكار

الثابتُ والمُتغيِّر في السلطةِ عندَ الإمام عليّ عليه السلام في ضوءِ المَنهجِ القُرآني ٣٨٥

أ.د. كاظم عبد فريح

التعايشُ السلميّ وحقوقُ الإنسان عند أمير المؤمنين عليه السلام دراسةٌ تطبيقيةٌ وميدانيّةٌ.... ٤٠٧

أ.د.مصطفى محمد أمين الأتروشي/ آسيا عبد الله أحمد

المُشيراتُ القرآنيَّةُ في الخُطبِ العلويَّة (قراءَة معرفيَّة جديدَة في الدّراسات اللسانيَّة)... ٤٢٩

أ.د. هادي سعدون هنون العارضي

عالميّةُ الخطابِ العلويّ من منطقِ القيمِ القرآنيّةِ إلى منطقِ نشرِ القيم..... ٤٥٥

أ. د. آمال خلف علي آل حيدر

رؤيةُ الإمامِ عليٍّ عليه السلام في الوسطيّةِ والاعتدالِ من المنظورِ القرآنيّ أداةٌ في محاربةِ ٤٧٥

أ.د. حيدر كريم الجمالي/ أ.د. صادق فوزي النجادي

السياسة الاقتصاديّة للإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام في مواجهة الفقر ٥١٣

أ.د. برزان مُيَّسر الحامد

إيثارُ أمير المؤمنين عليه السلام آيةُ ليلةِ المَبِيت مصداقاً

أ.د. علي نيكوكار

جامعة المصطفى العالمية/ قم المُقدَّسة

الملخّص:

حثّت الشريعة الإسلاميّة على البذل والعطاء بالمال والنفس، واعتبرت الإيثار بالنفس أعلى المراتب وأشرفها، خصوصًا إذا كان امتثالًا لأوامر الله تعالى وابتغاء مرضاته، وهو خُلُقٌ عظيم يتّصف صاحبه بنفس رفيعة يسمو بها عن ملذّات الدنيا استعدادًا للآخرة، وقد تجلّى مصداقه الواقعيّ بمبيت عليّ بن أبي طالب عليه السلام في فراش النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله يقيه بنفسه؛ طاعة له وبأمر من الله تعالى؛ من أجل التصدّي لخطّة مشركي قريش ومكرهم، حيث كان له الأثر الكبير في حفظه صلى الله عليه وآله وحفظ دين الإسلام، فكافأه الله تعالى بنزولِ آية قرآنيّة في حقّه.

ووصلنا إلى نتيجة مفادها أنَّ الإيثار فضيلة سامية ودرجة إيمانيّة عالية في التضحية، لا يصل إليها إلّا الذين تحلّوا بقوّة اليقين والصبر وشدّة المحبّة للغير، ولا يجسّدها إلّا ذو حظّ عظيم، وقد صوّرها أمير المؤمنين عليه السلام على الواقع العملي بأروع صور التضحية والفداء، وكشفَ عن خلجاتِ نفسه وحرصه وحبّه الشديد لحبيبه المصطفى صلى الله عليه وآله؛ فداءً لنفسه، وحفظًا لدين الله تعالى الذي جاء به.

الكلمات المفتاحيّة: الإيثار، أمير المؤمنين عليه السلام، ليلة المبيت ومشركو قريش.

Abstract:

Islamic Sharia has urged the expenditure of both wealth and self, considering self-sacrifice (Al-Ithar) the highest and most honorable rank, especially when performed in obedience to Allah's commands and seeking His pleasure. This noble character trait reflects a sublime soul that transcends worldly pleasures in preparation for the hereafter. Its most profound practical manifestation was evidenced when Ali ibn Abi Talib (PBUH) slept in the bed of the Greatest Prophet (PBUH&HP) to protect him with his own life, in obedience to Allah's command to thwart the plot and deception of the polytheists of Quraish. This act had a significant impact on preserving the Prophet's life and the religion of Islam, for which Allah rewarded him by revealing a Quranic verse in his honor.

The study concludes that Altruism is a sublime virtue and a high degree of faith in sacrifice, attained only by those endowed with strong certainty, patience, and intense love for others. It is embodied only by those of "great fortune." The Commander of the Faithful (PBUH) portrayed this through the most magnificent images of sacrifice and redemption, revealing his inner devotion and profound love for the Chosen One (PBUH&HP), sacrificing himself to safeguard the divine religion.

Keywords: Altruism (Al-Ithar), The Commander of the Faithful (PBUH), The Night of the Stay (Laylat al-Mabit), The Polytheists of Quraish.

المقدّمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين حبيب قلوب العالمين أبي القاسم مُحَمَّد وآل بيته الطيّبين الطاهرين المعصومين وبعد.

يعدُّ الإيثار من القيم الإنسانيّة والأخلاقيّة العظيمة، حيث يعبّر عن روحِ الكرم والعطاء، والتضحية والفداء، وهو سجيّة حميدة من سجايا الكرام وخصلة فاضلة من أصحاب الأخلاق العليا، بل هو مرتبة عالية من مراتب السخاء وأرقى درجة في البذل والعطاء، وقد نقل لنا التاريخُ نموذجًا من عرب الجاهليّة، وعرّفنا بشخصيّة حاتم بن عبد الله الطائيّ، الذي آثر قوته وجسّد صورة الإيثار بسخاءٍ، وبذلَ ما عنده من أموال في إطعام الناس، وفي عرب الإسلام المحمّديّ جمع أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام هذه الصورة مع صورة البذل والفداء بالنفس، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ [التوبة:١١١]، وأشار ظاهر الآية إلى نوعين من البذل:

الأوّل: بذلُ المال، وهو نوع من الجود والكرم.

والثاني: بذلُ النفس، وهو غايةُ الجودِ والكرم وأقصى مرتبة من مراتب البذل والسخاء والإيثار، والله تعالى في الآية المتقدّمة قدَّم النفس على المال، فبذل المال كرم، ولكنّ الذي يجود بنفسه أكرم وأجود، فالذي يجاهد بنفسه أعظم درجة عند الله تعالى من الذي يجاهد بمالِه.

وشراء النفس وبذلها على ثلاث مراتب، كما بيّنها الله تعالى في القرآن الكريم، وهي: **المرتبة الأولى**: شراء النفس خوفًا من النار، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ [النساء:٧٤]، فالمؤمنين يشرون الحياة الدنيا من أجلِ الآخرة؛ من

أجل أنْ تبعدهم عن النار ثمّ مصيرهم إلى الجنّة، وهذه عبادة العبيد.

المرتبة الثانية: شراء النفس طمعًا بالجنّة، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾[التوبة:١١١]، حيث أنَّ المؤمنين يشرون أنفسهم رغبة وطَلَبًا للثَّوَابِ وطمعًا بالجنّة وشوقًا إليها، وهذه عبادة التجّار.

المرتبة الثالثة: شراء النفس ابتغاء مرضاة الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٠٧]، والمؤمنين هنا يشرون أنفسهم لا خوفًا من النار ولا طمعًا في الجنّة، ولا ابتغاء مرضاة الله تعالى مقابل ثمنٍ يبغيه لشرائِها، وإنَّما ﴿ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ مترفّعين عنْ كُلّ بديل وثمن، متحرّرين في شراء أنفسهم عن كُلّ تجارة ومبادلة، إلّا غاية واحدة هي ﴿ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ وإنْ لم يدخل الجنّة، فالغاية في شرائهم هي فقط ﴿مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ لا سواها ولا سواه، وهذه عبادة الأحرار[1]، وهِيَ أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ، حيث يتقبَّل الله تعالى من عباده المتّقين، ولا يتركهم بدون ثمن إنَّما يثيبهم عليه بأنْ لهم الجنّة، وقد جسّد أمير المؤمنين عليه السلام مصداقها بمبيته على فراش النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله فداءً بنفسه لنفسه صلى الله عليه وآله فأثابه الله تعالى بموقفه نزول آية قرآنية وهذا دليل على الإيمان الحقيقي، بل أعلى مراتب الإيمان.

وهي إحدى مناقب أمير المؤمنين عليه السلام التي لا تعدّ ولا تحصى، إذ يقول النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله: ((إنَّ الله تبارك وتعالى جعل لأخي عليّ بن أبي طالب فضائل لا يحصي عددها غيره، فمن ذكر فضيلة من فضائله مقرًّا بها، غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، ولو وافى القيامة بذنوب الثَّقلين، ومَن كتب فضيلة من فضائل عليّ بن أبي

---

(١) قال أمير المؤمنين عليه السلام: (إِنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللَّه رَغْبَةً فَتِلْكَ عِبَادَةُ التُّجَّارِ، وإِنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللَّه رَهْبَةً فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْعَبِيدِ، وإِنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللَّه شُكْراً فَتِلْكَ عِبَادَةُ الأَحْرَارِ). نهج البلاغة، صبحي الصالح، ص٥١٠، حكمة٢٣٧.

طالب عليه السلام لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقي لتلك الكتابة رسم، ومن استمع إلى فضيلة من فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالاستماع، ومن نظر إلى كتابة في فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالنظر[1]، ونحن من هذا الباب ولهذه الأسباب اخترنا بحثنا للخوض في إحدى مناقبه عليه السلام، وقد تضمّنت هذه المنقبة طاعة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله، وكشفت عن مدى حبّه الشديد عليه السلام لأخيه ونبيّه صلى الله عليه وآله؛ حيث قدّم عليه السلام أعزّ ما يملك وهي نفسه وفدّاها وبذلها لمنفعة مَن يُحبّ ويستحقّ طاعة لله تعالى ولحفظ دينه، وهي أسمى مراتب الأخوّة وأعلاها؛ بذلها لغاية عظيمة وسامية، ومن خلال البحث والتحقيق حول هذه الحادثة وقفنا على أقلامِ بعضِ من يريد أنْ ينكر، أو يقلّل من هذه المنقبة العظيمة.

وقد اعتمدنا في تدوين البحث على قراءة النصوص التاريخيّة التي تعرّضت إلى حادثة وآية ليلة المبيت، بالأخصّ في الكتب التاريخيّة للعلماء المتقدّمين من الشيعة الإماميّة وأهل السنّة، التي اشتملت على بيان الدوافع التي دعت المشركين إلى محاولةِ قتل النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، مع بيان دور أمير المؤمنين عليه السلام فيها، إذ تمّ جمعها وترتيبها وتحليلها ـ قدر الإمكان ـ وقد رُتّبت على شكل وقائع متسلسلة وفق ما يتطلّبه البحث، معتمدين منهج التتبّع والاستقراء، إذ تتبّعنا بعض النصوص التاريخيّة، وقمنا بدراستها والتأمّل فيها، وقراءتها قراءة متأنّية تحليليّة؛ للتعرّف على الأحداث والمفاهيم التي تضمّنتها الألفاظ، كاشفة عن المعاني والمضامين السامية، مع تسليط الضوء على ما قدَّمه أمير المؤمنين عليه السلام من أثر خالد في بيعِ أعزّ ما يملك وتضحيته بها فداءً لأخيه المصطفى صلى الله عليه وآله؛ من أجل كسب مرضاة الله تعالى، وتمّ ذلك في مطلبين:

---

(١) الأمالي للصدوق: ص٢٠١.

المطلبُ الأوّل: المفاهيم الأساسيّة

أوّلًا: الإيثار لغةً واصطلاحًا:

الإيثارُ في اللغة: عرَّفه ابن منظور (٦٣٠-٧١١هـ) قائلًا: ((آثَرَه: أَكرمه. ورجل أَثِير: مكين مُكْرَم، وآثَرَه عليه: فضله. وأَثِرَ أَنْ يفعل كذا أَثَرًا وأَثَر وآثَرَ، كُلّه: فَضّل وقَدّم. وآثَرْتُ فلاناً على نفسي: من الإِيثار. يقول الأَصمعي: آثَرْتُك إِيثارًا، أَي: فَضَّلْتُك. ومنه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾))[١].

وفي الاصطلاح: يقول ابن مسكويه (٤٢١هـ): ((الإيثار: هو فضيلة للنفس بها يكفّ الإنسان عن بعض حاجاته التي تخصّه حتّى يبذله لمن يستحقّه))[٢].

وعرَّفه القرطبي المالكيّ (٦٠٠ ـ ٦٧١هـ) قائلًا: ((الإيثار: هو تقديم الغير على النفس وحظوظها الدنيوية، ورغبة في الحظوظ الدينيّة. وذلك ينشأ عنْ قوة اليقين، وتوكيد المحبّة، والصبر على المشقة. يقال: آثرته بكذا، أي: خصصته به وفضّلته. ومفعول الإيثار محذوف، أي: يؤثرونهم على أنفسهم بأموالهم ومنازلهم، لا عن غنى بل مع احتياجهم إليها))[٣].

وقال الشريف الجُرجَانيّ الحنفيّ (٧٤٠ ـ ٨١٦هـ): ((الإيثار: أنْ يقدم غيره على نفسه في النفع له والدفع عنه، وهو النهاية في الأخوّة))[٤]. ويقول العينيّ الحنفي (٧٦٢ - ٨٥٥هـ): ((آثرت فلانًا على نفسي، إذا اختاره على نفسه وفضله عليه))[٥].

---

(١) لسان العرب: ٤/ ٧.

(٢) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق:٣١.

(٣) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي): ١٨/ ٢٦.

(٤) التعريفات:٤٠.

(٥) عمدة القاري شرح صحيح البخاري: ٨/ ٢٢٩.

وممّا تقدّم فإنّ كلمات أهل اللغة والمعاجم اللغويّة واصطلاح العلماء أطبقت أنَّ معنى الإيثار هو تقديم وتفضيل الآخرين على النفس في الأمور الماديّة والمعنويّة والدينيّة، وهو أعلى مراتب الأخوّة الإيمانيّة، ينشأ منْ قوّة اليقين وتأكيدًا لمحبّة المُفدّى، يتبعها شدّة الصبر على المشقّة والفداء بالنفس له.

ثانيًا: الشراء لغةً واصطلاحاً:

الشراءُ في اللغة: عرَّفه الجَوْهَريّ (٣٣٢ ـ ٣٩٣هـ) قائلًا: ((ش ر ى: الشِّرَاءُ يُمدّ ويُقصر وقد شَرَى الشيء يشريه شِرًى و شِرَاءً إذا باعه وإذا اشْتراهُ أيضًا وهو من الأضداد، قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾، أي: يبيعها، وقال تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ أي: باعوه))[1].

وقال ابن فارس المالكيّ (٣١٢ ـ ٣٩٥هـ): ((شرى، الشين والراء والحرف المعتل أصول ثلاثة أحدها يدلّ على تعارض من الاثنين في أمرين أخذًا وإعطاء مماثلة، والآخر نبت، والثالث: هيج في الشيء وعلو، فالأوّل قولهم: شريت الشيء واشتريته إذا أخذته من صاحبه بثمنه))[2].

وفي معجم الغنيّ قال أبو العزم: شَرَى، شَرَيْتُ، أَشْرِي، اِشْرِ، شِرَاءٌ. شَرَى فِي الأَمْر: لَجَّ. شَرَى بِنَفْسِهِ عَنِ القَوْمِ: تَقَدَّمَ أَمَامَهُمْ فَقَاتَلَ عَنْهُمْ. شَرَى بَضَائِعَ جَدِيدَةً: اِبْتَاعَهَا، أَخذَهَا بِثَمَنٍ. ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾: بَاعُوهُ. ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾: يَبِيعُ نَفْسَهُ، أَيْ: يَهَبُهَا وَيَبْذُلُهَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ.

وفي الاصطلاح: قال الرّاغبُ الأصفهاني (٥٠٢هـ): ((شرى: الشِّرَاءُ والبيع يتلازمان، فَالْمُشْتَرِي دافع الثّمن، وآخذ المثمّن، والبائع دافع المثمّن، وآخذ

(١) الصحاح: ٦/ ٢٣٩١.

(٢) معجم مقاييس اللغة:٣/ ٢٦٦.

الثّمن. هذا إذا كانت المبايعة والْمُشَارَاةُ بناضّ وسلعة، فأمّا إذا كانت بيع سلعة بسلعة صحّ أنْ يتصوّر كلّ واحد منهما مُشْتَرِيًا وبائعًا، ومن هذا الوجه صار لفظ البيع والشّراء يستعمل كُلّ واحد منهما في موضع الآخر. وشَرَيْتُ بمعنى بعت أكثر، وابتعت بمعنى اشْتَرَيْتُ أكثر، قال الله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾، أي: باعوه، وكذلك قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، فقد ذكر ما اشتري به، وهو قوله: ﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ﴾. قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾، فمعنى ﴿يَشْرِي﴾: يبيع، فصار ذلك كقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى﴾))[1].

وقال التَّهَانَويّ الحنفيّ (ت١١٥٨هـ): ((الشراء من الأضداد؛ لأنّه يقال على البيع أيضًا قال الله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾، أي: باعوه، وقوله تعالى: ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾))[2].

المطلب الثاني: آيةُ ليلةِ المَبيتِ

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ [البقرة:٢٠٧]، تعرّض الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة إلى نوعٍ من الناس، ﴿يَشْرِي نَفْسَهُ﴾، أي: يبيع نفسه ويهبها ويبذلها في سبيله، ﴿ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ لا دافع له إلّا ابتغاء مرضاة الله تعالى وطلب رضوانه، والآية أطلقت على المعاملة البيع؛ لأنَّ الفاعل طالبٌ رضا الله تعالى، تشبيهًا بالبائع الذي يطلب الثمن عند البيع، واللطيف في هذه الآية أنَّ البائع هو الإنسان، والمشتري هو الله تعالى، والسلعة أو المثمّن هي النفس، والثمن هو مرضاة الله تعالى، وفي بعض الآيات تجعل الثمن في المعاملة هو الفوز

(١) مفردات ألفاظ القرآن:٤٥٣.

(٢) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم:١/ ٣٥٥.

بالجنّة والنجاة من نار جهنم، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ [التوبة:١١١]، اشترى أي: ابتاع، إنَّ الله ابتاع من المؤمنين، فالله تعالى جعل الجنّة ثمنًا لمَن يُنفِقُ ماله أو نفسه في سبيله، كالتجارة المتعارفة بين البائع والتاجر، البائع هو الإنسان، والمشتري أو التاجر هو الله تعالى، والسلعة أو المثمّن هي المال أو النفس، والثمن هي الجنّة، والله تعالى هو الضامن لهذه المعاملة، فمن أراد الجنّة عليه أنْ يدفع ثمنًا لها، وهذه الصفقة التجاريّة بين البائع والمشتري كان النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله هو الواسطة بينهما، وهذه التجارة هي ترغيب وحثّ على طاعة الله تعالى، حيث سمّى بذل النفس شراءً من باب المجاز؛ لأنَّ المشتري الذي يريد أنْ يشتري في الواقع لا يملك المثمّن أو البضاعة التي هي المال أو النفس، أمّا الله تعالى فهو مالك الأموال والأنفس.

وقد يظنُّ البعضُ من أوّل وهلة بأنَّ معنى ﴿يَشْرِي﴾، أي: يشتري، ولكنّ الصحيح أنّ معناها: يبيع، وهذا ما وقفنا عليه في معاجم وكتب أهل اللغة وفي كلمات المفسّرين، فالله تعالى في هذه الآية الكريمة تعرّض إلى ذكرِ بعض المؤمنين الذين يبيعون أنفسهم ويضحّون بها طلبًا لمرضاته وتحقيقًا لغاية قصوى؛ لأجل التقرّب إلى الله تعالى بفعل قوّة اليقين والمحبّة الشديدة للتضحية بأعزّ ما يملك، وعمليّة البيع تتمّ بتبديل شيء بشيء آخر مع عدم القدرة على التصرّف بالمبيع؛ لأنّه يخرج عن تصرّفه، فبيع النفس يطلق على بذلها في سبيل الله تعالى ومن مصاديقه بذل النفس في الجهاد أو بذلها في القتل في سبيل الله تعالى، وكان مصداقًا عمليًّا لهذه المعاملة ما قام به الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام ليلة المَبِيت.

يقول الثعلبيّ الشافعيّ (ت٤٢٧هـ): ((رأيت في الكتب أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا أراد الهجرة خَلَّف عليّ بن أبي طالب بمكّة لقضاء ديونه وردّ الودائع التي كانت

عنده، فأمّره ليلة خرج إلى الغار، وقد أحاط المشركون بالدار، أنْ ينام على فراشه صلى الله عليه وآله وقال له: (اتّشح بِبُرْدِي الْحَضْرَمِيِّ الْأَخْضَر، ونَمْ عَلَى فِرَاشِي، فَإِنَّهُ لا يَخْلُصَ إِلَيْكَ مِنْهُمْ مكروه إنْ شاء الله)، ففعل ذلك عليّ، فأوحى الله تعالى إلى جبرئيل وميكائيل إنّي قد آخيتُ بينكما وجعلت عُمر أحدكما أطول من عُمر الأخر فأيّكما يؤثر صاحبه بالبقاء والحياة؟

فاختار كلاهما الحياة فأوحى الله تعالى إليهما: (أفلا كُنتُما مثل عليّ بن أبي طالب آخيتُ بينهُ وبين محمّد صلى الله عليه وآله فبات على فِراشِه يفديه نفسُه ويؤثِرُه بالحياة، اهبطا إلى الأرض؛ فاحفظاه من عَدُوِّه)، فنزلا، فكان جبرئيل عند رأس عليّ وميكائيل عند رِجلَيه، وجبرئيل ينادي: (بخٍ بخٍ! مَنْ مِثلكَ يا بنَ أبي طالب)، فنادى الله عزّ وجلّ الملائكة وأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وآله وهو متوجّه إلى المدينة في شأن عليّ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾، وقال ابن عبّاس [حول هذه الآية الكريمة]: (نزلت في عليّ بن أبي طالب، حين هربَ النبيّ صلى الله عليه وآله من المشركين، ونام عليّ على فراش النبيّ صلى الله عليه وآله))[1].

وعقّب ابن طاووس (ت٦٦٤هـ) على رواية الثعلبيّ قائلًا: ((قوله في الحديث فإنَّه (لا يصل [لا يَخْلُصَ] إِلَيْكَ مِنْهُمْ مكروه) زيادة وليست منه، ولو كان قد قال له ذلك كيف كان يقول في الحديث من الله تعالى أنّه آثر النبيّ صلى الله عليه وآله بحياته، وكيف كان الآية تتضمّن أنّه باع نفسه في مرضاة الله))[2].

أمّا الجاحظ (١٦٠ ـ ٢٥٥هـ) فشكّك في هذه الحادثة، وأراد إنكار فضيلة عليّ بن أبي طالب عليه السلام وطاعته لله تعالى حفظًا للنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله في ليلة المبيت، حيث قال: ((لم يكن له في ذلك كبير طاعة؛ لأنَّ الناقلين نقلوا أنَّه صلى الله عليه وآله قال له: نم فلنْ

(١) الكشف والبيان عن تفسير القرآن:٢/ ١٢٦.
(٢) سعد السعود:٢١٧.

يخلص إليك شيء تكرهه))[١]، حيث تمسّك بما أضافه الثعلبي في روايته، وهذا ديدن البعض عندما يشاهد فضيلة عظيمة لأمير المؤمنين عليه السلام فيحاول بشتّى الطرق إنكارها أو التقليل من شأنها أو إخماد نورها الباهر، فيختلقون أمورًا أو يتّبعون أثرًا ضعيفًا للتمسّك به كنفوسهم الضعيفة.

وردّه أبو جعفر الإسكافيّ المعتزليّ (٢٤٠هـ) وكذّبه بتمسّكه بإدخاله في الرواية ما ليس منها، يقول ابن أبي الحديد المعتزليّ الشافعيّ (٥٨٦ ـ ٦٥٦هـ): ((قال شيخُنا أبو جعفر (رحمه الله) هذا هو الكذب الصراح، والتحريف والإدخال في الرواية ما ليس منها، والمعروف المنقول أنّه صلى الله عليه وآله قال له: إذهب فاضطجع في مضجعي، وتغشَّ ببُردي الحضرميّ، فإنَّ القوم سيفقدونني، ولا يشهدون مضجعي، فلعلّهم إذا رأوك يسكنهم ذلك حتّى يصبحوا، فإذا أصبحت فاغد في أداء أمانتي، ولم ينقل ما ذكره الجاحظ، وإنّما ولده أبو بكر الأصمّ، وأخذه الجاحظ ولا أصل له، ولو كان هذا صحيحًا لم يصل إليه منهم مكروه، وقد وقع الاتفاق على أنّه ضُرِبَ ورُمِيَ بالحجارة قبل أنْ يعلموا مَن هو حتّى تضوّر، وأنّهم قالوا له: رأينا تضوّرك، فإنّا كنّا نرمي محمّدًا ولا يتضوّر؛ ولأنَّ لفظة المكروه إنْ كان قالها إنّما يُراد بها القتل، فهب أنّه أمِنَ القتل، كيف يأمنُ من الضرب والهوان، ومِن أنْ ينقطع بعض أعضائه، وبأن سلمت نفسه، أليس الله تعالى قال لنبيّه: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[المائدة:٦٧]، ومع ذلك فقد كسرت رباعيّته وشجّ وجهه وأدميت ساقه؛ وذلك لأنّها عصمة من القتل خاصّة، وكذلك المكروه الذي أومن علي عليه السلام منه ـ وإنْ كان صحّ ذلك في الحديث ـ إنّما هو مكروه القتل))[٢].

---

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٣/ ٢٦٢.

(٢) ن.م.

وحادثة ليلة المبيت نقلها ابن عُقدة الكوفيّ (٢٥٠ ـ ٣٣٢هـ) في كتابه فضائل أمير المؤمنين عليه السلام[١]. ونقلها القاضي النعمان المغربيّ (٣٦٣هـ) أيضًا بإسناده عن إسماعيل السَّديّ (ت١٢٨هـ) أنَّه قال في قول الله عزَّ وجَّل: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾: ((نزلت في عليّ بن أبي طالب عليه السلام لمّا نام على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله في الليلة التي تواعد فيها المشركون أنْ يأتوه، فيقتلوه))[٢]. ونقلها الطوسّي (٣٨٥ـ٤٦٠هـ) في كتابه الأمالي[٣]. وكذا نقلها الطبرسّي (٤٧٠ ـ ٥٤٨هـ) في كتاب الاحتجاج[٤]. والطبريّ محمّد بن جرير (الشيعيّ) (٤٠٠هـ)[٥]، وغيرهم.

فهي حادثة مشهورة وصلت حدّ التواتر في المصادر الإسلاميّة ونُقلت في كتب وتفاسير الشيعة الإماميّة الإثنا عشريّة وكتب وتفاسير وصحاح أهل السنّة تحت عنوان حديث الفراش، أو ليلة الفراش[٦]، أو ليلة المَبِيت.

يقول ابن أبي الحديد المعتزليّ الشافعيّ (٥٨٦ ـ ٦٥٦هـ) نقلاً عن شيخه أبي جعفر الإسكافيّ المعتزليّ (٢٤٠هـ): ((إنَّه قد ثبت بالتواتر حديث الفراش، ولا يجحده إلّا مجنون أو غير مخالط لأهل الملّة))[٧]، ونقل الشيخ الطوسّي (٣٨٥ـ٤٦٠هـ) رواية

---

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٨١.
(٢) شرح الأخبار:٢/ ٣٤٥.
(٣) ينظر: الأمالي للطوسي: ٤٦٩.
(٤) ينظر: الاحتجاج للطبرسي: ١/ ٦٠.
(٥) ينظر: المسترشد في الإمامة: ٤٣٣.
(٦) ليلة الفراش: سماها أمير المؤمنين عليه السلام عندما احتج بها أمام أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله. ينظر: أمالي الطوسيّ: ٥٥١.
(٧) شرح نهج البلاغة:١٣/ ٢٦٢.

بإسناده عن حكيم بن جُبَيْر[١](٥٧هـ)، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام في قول الله عزَّ وجَّل: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾، قال: ((نزلت في عليّ عليه السلام حين بات على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله))[٢].

سبب إجماع رأي قريش على قتل النبيّ صلى الله عليه وآله:

لقد لاقى المسلمون في مكّة معاناة واضطهاد من قبل مشركيّ قريش، وقد أمر النبيُّ الأكرم صلى الله عليه وآله المسلمين بأنْ يهاجروا إلى المدينة، حيث وجدت أرضيّة وأنصار لهذا الدين الجديد، وقد أوشكت أنْ تخلو مكّة، حيث لم يبقَ فيها من المسلمين إلّا النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وعليّ بن أبي طالب عليه السلام، وبعض قليل ممّن حبسوهم قومهم كرهًا ومنعوهم من الهجرة إلى المدينة المنورة، يقول ابن عبد البرّ (٣٦٨-٤٦٣ هـ): ((فلمّا رأت قريش أنَّ المسلمين قد صاروا إلى المدينة وقد دخل أهلها في الإسلام قالوا هذا شرّ شاغل لا يُطاق فأجمعوا أمرهم على قتلِ رسول الله صلى الله عليه وآله فبيّتوه ورصدوه على باب منزله طول ليلتهم ليقتلوه))[٣].

وكذلك ما نقله أبي الفداء (٧٣٢هـ) في تاريخه عن هذه الحادثة، إذ قال: ((وأمّا ما كان من حديث الهجرة فإنّه لمّا علمت قريش أنّه قد صار لرسول الله صلى الله عليه وآله أنصارٌ وأنَّ أصحابه بمكّة قد لحقوا بهم، خافوا من خروج رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة فاجتمعوا واتّفقوا على أنْ يأخذوا من كُلّ قبيلة رجلًا؛ ليضربوه بسيوفهم ضربة رجل واحدٍ؛ ليضيع دمه في القبائل))[٤]، فقد شكّل المهاجرون والأنصار في المدينة

---

(١) حكيم بن جبير الأسدي بن مطعم بن عدي من أصحاب الإمام علّي بن الحسين عليهما السلام. ينظر: الأبواب (رجال الطوسيّ): ١١٢.

(٢) الأمالي، الطوسي: ٤٤٦.

(٣) الدرر في اختصار المغازيّ والسير:٧٩.

(٤) المختصر في أخبار البشر:١/ ١٢٦.

المنوّرة أرضيّة واسعة للدين الجديد الذي خالف عقائد كفّار قريش وأذلّهم، حيث ساوى بين المولى والعبد وبين الغني والفقير والضعيف والقوي، وهذا لم يقبله أصحاب التكبّر والغرور أنْ يساويه بخادمه.

وقد كان هناك عاملٌ أساسيٌّ ساعد زعماء قريش بالإجماع على قتل النبيّ صلى الله عليه وآله؛ وهو عدم وجود ناصر ينصره بعد وفاة ناصره وحاميه أبو طالب عليه السلام الذي فتح لهم مجال التفكير بالقضاء على النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله ودينه الجديد قبل أنْ ينتشر، إذ يقول الكاتب العباسي اليعقوبيّ (٢٨٤هـ): ((أجمعت قريش على قتل رسول الله صلى الله عليه وآله، وقالوا: ليس له اليوم أحد ينصره وقد مات أبو طالب، فأجمعوا جميعًا على أنْ يأتوا من كُلّ قبيلة بغلامٍ نَهْد[1]، فيجتمعوا عليه فيضربوه بأسيافهم ضربة رجلٍ واحدٍ، فلا يكون لبني هاشم قوّة بمعاداة جميع قريش))[2].

الاجتماعُ في دار الندوة[3] للتخطيط لقتلِ النبيّ صلى الله عليه وآله:

قال الشيخ الطبرسيّ (٤٧٠ ـ ٥٤٨هـ): ((اجتمعت قريش في دار الندوة وكانوا أربعين رجلاً من أشرافهم، وكان لا يدخلها إلّا من أتى له أربعون سنة، سوى عتبة بن ربيعة فقد كان سنه دون الأربعين، فجاء الملعون إبليس في صورة شيخ، فقال له البوّاب: من أنت؟ قال: أنا شيخ من نجد. فاستأذن، فأذنوا له، وقال: بلغني

---

(١) غلام نَهَد: أي شابّ قويّ ضخم.

(٢) تاريخ اليعقوبيّ:٢/ ٣٩.

(٣) دار الندوة: وهي دار معروفة بمكّة بناها قُصيُّ بْنُ كِلاَبٍ، الجد الخامس للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وكانت منزلًا له، واسمه زيد وكان يسمّى مُجمعًا؛ لأنّه جمع قبائل قريش وأنزلها مكّة وبنى دار الندوة، وهو أوّل من بنى المساكن فيها حول الكعبة، ثمّ صارت قريش تجتمع فيها للمشاورة ونحوها، إذا عرض لهم أمر مهم، وكانت قريش تأتمر فيها، حيث كانوا يتيامنون بأمره ويتشاورون في أمر نزل بهم، ولا يعقدون لواء لحرب قوم من غيرهم إلّا في داره، وما تنكح امرأة، ولا يتزوّج رجل من قريش إلّا بها.

اجتماعكم في أمر هذا الرجل، فجئتكم لأشير عليكم، فلا يعدمكم منّي رأيٌ صائب. فلمّا أخذوا مجلسهم قال أبو جهل: يا معشر قريش، إنّه لم يكن أحد من العرب أعزّ منّا ونحن في حرم الله وأمنه تفد إلينا العرب في السنة مرّتين ولا يطمع فينا طامع، حتّى نشأ فينا مُحَمَّد، فكنّا نسمّيه الأمين لصلاحه وأمانته، فزعم أنّه رسول الله، وسبّ آلهتنا، وسفّه أحلامنا، وأفسد شبابنا، وفرّق جماعتنا، وقد رأيت فيه رأيًا، وهو أنْ ندسّ إليه رجلًا يقتله، فإنْ طلبت بنو هاشم بدمه أعطيناهم عشر ديّات.

فقال إبليس: هذا رأيٌ خبيث، فإنَّ بني هاشم لا ترضى أنْ يمشي قاتل مُحَمَّد على الأرض أبدًا، وتقع بينكم الحروب في حرمكم.

فقال آخر: الرأيُ أنْ نأخذه فنحبسه في بيت ونثبّته فيه ونلقي إليه قوته حتّى يموت كما مات زهير والنابغة. فقال إبليس: إنَّ بني هاشم لا ترضى بذلك، فإذا جاء موسم العرب اجتمعوا عليكم وأخرجوه فيخدعهم بسحره. وقال آخر: الرأيُ أنْ نخرجه من بلادنا ونطرده فنفرغ نحن لآلهتنا.

فقال إبليس: هذا أخبثُ من الرأيين المتقدّمين؛ لأنّكم تعمدون إلى أصبح الناس وجهًا، وأفصح الناس لسانًا، وأسحرهم، فتخرجوه إلى بوادي العرب فيخدعهم بسحره ولسانه، فلا يفجأكم إلّا وقد ملأها عليكم خيلًا ورجلًا. فبقوا حيارى.

ثمّ قالوا للملعون إبليس: فما الرأي عندك فيه؟ قال: ما فيه إلّا رأي واحد، أنْ يجتمع من كُلّ بطن من بطون قريش رجل شريف، ويكون معكم من بني هاشم واحد، فيأخذون حديدةً أو سيفًا ويدخلون عليه فيضربوه كُلّهم ضربة واحدة، فيتفرّق دمه في قريش كُلّها، فلا يستطيع بنو هاشم أنْ يطلبوا بدمه وقد شاركوا فيه، فما بقي لهم إلّا أنْ تعطوهم الدية، فأعطوهم ثلاث ديّات.

قالوا: نعم، وعشر ديّات، وقالوا بأجمعهم: الرأيُ رأيُ الشيخ النجدي، فاختاروا خمسة عشر رجلًا فيهم أبو لهب على أنْ يدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وآله فيقتلونه، فأنزل الله سبحانه وتعالى على رسوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾، ثمّ تفرّقوا على هذا، وأجمعوا أنْ يدخلوا عليه ليلًا، وكتموا أمرهم))[1].

وقد نقل هذه الحادثة أبو بكر الآجريّ الشافعيّ (٣٦٠هـ)، وتعرّض إلى صورة إبليس قائلًا: ((وَأَتَاهُمْ إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللَّهُ فِي صُورَةِ سُرَاقَةَ بْنِ جُعْشُمٍ الْمُدْلِجِيِّ مِنْ كِنَانَةَ قُرَيْشٍ فِي زِيِّ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ عَلَيْهِ بُرْدٌ))[2].

وهذه الخطّة والمكر والخديعة التي نصبوها للنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله هي مصداق قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال:٣٠]، وقد أخبر الله تعالى حبيبه المصطفى صلى الله عليه وآله بهذا الأمر.

الاقتراحات الثلاثة التي خرجَ بها كفّار قريش في اجتماعهم في دار الندوة:

الاقتراح الأوّل: ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾، وهو رأي واقتراح أَبُو الْبَخْتَرِيُّ بن هشام، وهو: أنْ يأخذوا النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وَيحْبِسُوهُ فِي بَيْتٍ وَيَشُدُّوا وِثَاقَهُ، وَيَسُدُّوا بَابَ الْبَيْتِ، أي: يمنعونه من الحركة بالحبس والضبط والتقييد في مكان، أو شدّ وثاقه.

الاقتراح الثاني: ﴿يُخْرِجُوكَ﴾، وهو اقتراح هِشَامُ بْنُ عَمْرٍو مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ، حيث كان رأيه: أَنْ يَحْمِلُوهُ عَلَى بَعِيرٍ وَيُخْرِجُوهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ؛ من أجل أنْ يتفرّغوا لعبادة آلهتهم.

---

(١) إعلام الورى بأعلام الهدى:١/ ١٤٥ـ١٤٧.

(٢) الشريعة:٤/ ١٦٦٠.

الاقتراح الثالث: ﴿يَقْتُلُوكَ﴾، وهو رأي أَبُو جهل بن هِشَام من بني مَخْزُوم، حيث قال: ندسُّ إليه رجلًا منّا ليقتله! فإنْ طلبت بنو هاشم بديّته أعطيناهم عشر ديّات.

وهذا الرأي أفشله شيخُ نجد (الشيطان اللعين)، ولكنّه اقترح عليهم خطّة ماكرة وخبيثة لم يلتفت لها أحد من مشايخ قريش ولم يفكّروا بها، وهي القتل ولكن بشكل آخر، حيث بيّن لهم خطّة محكمة وناجحة من أجل القضاء على النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وتمّ الاتّفاق عليها وهي من أنجح الخطط التي تعرّض لها كثير من علماء السير والتاريخ، مثل ابن هشام في سيرته والطبري في تفسيره، وغيرهم، وقد نقلها كُلّهم عن طريق ابن إسحاق حدّثه عبد الله ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عبّاس.

وقد نقل الشيخ الطبرسيّ (٤٧١ ـ ٥٤٨هـ) هذه الحادثة ولم يتعرّض إلى أسماء أصحاب الرأي والاقتراحات، ونحن تعرّضنا إلى أسمائهم نقلًا عن رواية الثعلبي الشافعيّ[١] (٤٢٧هـ) والبغويّ الشافعيّ[٢] (٤٣٦ - ٥١٠هـ)، والزمخشريّ الحنفيّ[٣] (٤٦٧ - ٥٣٨هـ) وأبو البركات النسفيّ الحنفيّ[٤] (٧١٠هـ) والزيلعيّ الحنفيّ[٥] (ت٧٦٢هـ)، وغيرهم.

دور الشيطان في دار الندوة:

تنوّعت أدوار إبليس اللعين وصوره في عهد الإسلام، حيث كان يتمثّل بصورٍ مختلفة ليقوم باستنهاض أعوانه ضد دعوة النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، وقد تعرّض الشيخ

(١) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن:٤/ ٣٤٨.
(٢) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغويّ):٢/ ٢٤٤.
(٣) ينظر: الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل:٢/ ١٥٤.
(٤) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفيّ):١/ ٦٤١.
(٥) ينظر: تخريج الأحاديث والآثار:٢/ ٢٥.

الطوسيّ إلى ذكرِ بعضٍ منها[١]، وأحد أدواره كان في دار الندوة عندما اجتمع زعماء قريش لقتل النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، حيث كان السبّاقَ إليهم عندما دخلوا الدار وتشاوروا في أمره صلى الله عليه وآله وقد أفشل جميع مخطّطاتهم؛ لأنّها غير مفيدة وهزيلة وبيّن لهم أسباب رفضه فتمسّكوا به وبخططه؛ لذا اقترحوا عليه أنْ يضع خطّة محكمة وامتثلوا لأمره وطبّقوها، فقد تمثّل لهم بصورة شيخ نجدي، وقد تعرّض الحلبيّ الشافعيّ (١٠٤٤هـ) إلى أوصافه التي تمثّل بها؛ ليجذب بها عيون وآراء زعماء قريش، قائلًا: ((إنَّ إبليس جاء إليهم في صورة شيخ نجدي عليه طيلسان من خزّ، وقيل: من صوف، وإنّما فعل ذلك ليُقبَل منه ما يشير به؛ لأنَّ أهل الطيالسة في العادة من أهل الوقار والمعرفة))[٢].

وأخبرهم بأنّه من أهل نجد، حيث أفصح وعرّف نفسه وأكّد عليهم أنّه ليس من أهل تُهامة، والظاهر أنَّ أهل نجد يكنّون العداء للنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله ودعوته بخلاف أهل تهامة، حيث قال: ((أنا شيخ من نجد، ما أنا من تهامة، دخلت مكّة فسمعت باجتماعكم فأردت أنْ أحضركم ولنْ تعدموا منّي رأيًا ونصحًا))[٣]، فقالوا: اتركوه، ثمّ تشاوروا.

خُتمت الجلسة وتمّ تأييد ما خطّطه الشيخ النجديّ والتصويب عليه، بأنْ يدخلوا على داره ليلًا فيقتلوه. خرجوا من دار الندوة إلى المسجد الحرام يصفّرون ويصفّقون ويطوفون بالبيت، فأنزل الله في ذلك: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال:٣٥][٤]، وهذه معطوفة على قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ

(١) ينظر: أمالي الطوسي: ١٧٦.
(٢) السيرة الحلبية:٢/ ١٨٩.
(٣) تفسير السمعانّي:٢/ ٢٦٠، وتخريج الأحاديث والآثار:٢/ ٢٥.
(٤) ينظر: المُكاء: التصفير، والتَّصْدية: صفق اليدين.

الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]، حيث ذكرت بعد خمس آيات منها. وفيها يقول ابن كثير الشافعيّ (٧٠٠ ـ ٧٧٤هـ): ((فكان ذلك اليوم يُسمَّى يوم الزحمة للذي اجتمعوا عليه من الرأي))[١]، وقد تعرّض الشيخ الطبرسّي (٤٧١ ـ ٥٤٨هـ) إلى ذكر هذا الاجتماع، وذكرَ عدد الذين هجموا على دار النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله ليلة المبيت، قائلًا: ((فاختاروا خمسة عشر رجلًا فيهم أبو لهب))[٢]، أمّا الشيخ الطوسّي (٣٨٥ ـ ٤٦٠هـ)، فقد ذكر أنّ عددهم خمسة وعشرون رجلًا[٣].

سبب هجرة النبيّ صلى الله عليه وآله إلى المدينة:

عندما نزل جبرئيل عليه السلام على النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله بآيةِ المكر، وأخبره أنَّ قريشًا قد اجتمعت في دار الندوة يدبّرون عليه أمرًا، أذن الله تعالى له بالهجرة من مكّة إلى المدينة المنوّرة، وقد أمره الله تعالى أنْ يخبر عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنَّ الله يأمرك أنْ تبيت في فراشي هذه الليلة، يقول الشيخ الطوسيّ (٣٨٥ ـ ٤٦٠هـ): ((دعا رسول الله صلى الله عليه وآله عليًّا عليه السلام، وقال له: يا عليّ إنَّ الروح هبط عليَّ بهذه الآية آنفًا، يخبرني أنَّ قريشًا اجتمعوا على المكر بي وقتلي، وأنّه أوحى إليَّ ربّي (عَزَّ وَجَلَّ) أنْ أهجر دار قومي، وأنْ انطلق إلى غار ثور تحت ليلتي، وأنّه أمرني أنْ آمرك بالمبيت على مضجعي؛ ليخفى بمبيتك عليه أثري، فما أنت قائل، وما صانع؟ فقال عليّ عليه السلام: أوَ تُسلِم بمَبيتي هُناك يا نَبيَّ الله؟ قال: نعم، فتبسّم عليّ عليه السلام ضاحكًا، وأهوى إلى الأرض ساجدًا))[٤].

وقد أخبر عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنْ يؤدّي عنه الودائع والأمانات التي كانت عنده، وأنْ يلتحق به بعد ثلاثةِ أيّام، فاستجاب عليه السلام إليه ونام في فراشه، وكانت منقبة

(١) تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير): ٢/ ٣١٥.
(٢) إعلام الورى بأعلام الهدى: ١/ ١٤٦.
(٣) ينظر: أمالي الطوسي: ٤٤٦.
(٤) أمالي الطوسي: ٤٦٥.

من أحد المناقب التي نالها عليه السلام حيث ضحّى وفدى نفسه من أجل حبيبه المصطفى صلى الله عليه وآله حفاظًا على الدين، وضرب مثلًا رائعًا للفداء والتضحية بالنفس.

محاصرة قريش دار النبيّ صلى الله عليه وآله:

حاصر المشركون بيت النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله من أوّل الليل؛ ليَهجموا عليه في منتصف الليل طبقًا للخطّة التي أجمعوا عليها في دار الندوة، وقد تمكّن صلى الله عليه وآله من الخروج من الدار من دون أنْ يلاحظوه، حيث جاء جبرئيل عليه السلام فأخذ بيده صلى الله عليه وآله فأخرجه من الدار وأبطال قريش حول الدار وهو يقرأ عليهم قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ٩]، وينثر التراب على رؤوسهم وهم لا يشعرون فغلبهم النوم، فهاجر ديار قومه متوجّهًا إلى يثرب، آخذًا طريق جبل ثور[١] كما أمره الله تعالى، فدخل الغار ونجا من المشركين.

يقول النويريّ (٦٧٧ ـ ٧٣٣هـ): ((فأتاهم آتٍ ممّن لم يكن معهم، فقال: ما تنتظرون؟ قالوا: محمّدًا، قال: خيّبكم الله، قد والله خرج عليكم محمّد، ثمّ ما ترك منكم رجلًا إلّا وقد وضع على رأسه ترابًا وانطلق لحاجته، أفما ترون ما بكم؟ قال: فوضع كلّ رجل منهم يده على رأسه فإذا عليه تراب، ثمّ جعلوا ينظرون فيه فيرون عليًّا على الفراش متسجّيًا ببُردِ رسول الله صلى الله عليه وآله، فيقولون: والله إنَّ هذا لمحمّد نائمًا عليه بُردُه. فلم يبرحوا كذلك حتّى أصبحوا، فقام عليٌّ عن الفراش؛ فقالوا: والله لقد كان صدقنا الذي حدّثنا))[٢].

فلمّا أصبحت قريش وأضاء الصبح وثبوا في الحجرة وقصدوا الفراش، فوثبَ عليّ عليه السلام إليهم وقام في وجوههم، فقال لهم: ما لكم؟ قالوا: أين ابن عمّك محمّد؟

---

(١) جبل في مكة المكرمة على طريق منى له سنام كسنام الثور.

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب:١٦/ ٣٢٩.

قال عليّ عليه السلام: أجعلتموني عليه رقيبًا؟ ألستم قلتم له: اخرج عنّا، فقد خرج عنكم، فما تريدون؟[١]، لقد نام أمير المؤمنين عليه السلام في فراشه صلى الله عليه وآله ملتحفًا بُردته اليمانيّة؛ فاديًا نفسه عن قتل يقيني قطعي بما خطّطوا له زعماء قريش، ومن جانب آخر وفّر له فرصة الوقت بعدم اللحاق به، إذ خرج من بداية الليل متّخذًا طريقه إلى الغار، والدار محاطة بمجموعة من الأبطال المسلّحين ينتظرون طلوع الفجر؛ لينقضّوا على غريمهم ويقتلوه ليضيع دمه هدرًا بين القبائل، ولا تستطيع بني هاشم المطالبة بدمه، فكان مبيته سببًا لنجاة النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وحفظًا لبقائه واستمرارًا في تبليغ رسالة الله تعالى.

يقول عليه السلام: ((وأمرني أنْ أضطجع في مضجعه وأقيه بنفسي، فأسرعت إلى ذلك مطيعًا له مسرورًا لنفسي بأنْ أُقتل دونه، فمضى عليه السلام لوجهه، واضطجعت في مضجعه، وأقبلت رجالات قريش موقنة في أنفسها أنْ تقتل النبيّ صلى الله عليه وآله، فلمّا استوى بي وبهم البيت الذي أنا فيه ناهضتهم بسيفي، فدفعتهم عنْ نفسي بما قد علمه الله والناس))[٢].

لقد وقاه عليه السلام بنفسه وأنقذ النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله من قتلٍ حتميّ وأفشل مؤامرتهم، وقد وجدوا أنفسهم أمام هزيمة نكراء، عندما شاهدوا عليًّا نائمًا في فراشه، باذلًا نفسه إرضاءً لأمر الله تعالى، حيث ناهضهم بسيفه ودفعهم عن نفسه؛ لأنّهم أرادوا قتله، فأنزل الله تعالى بحقه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ [البقرة:٢٠٧]؛ لموقفه البطولي وقد كان عمره الشريف ٢٣ عامًا.

وقد أنشد الأَصْمَعِيّ (١٢٢ ـ ٢١٦هـ) أبياتًا للإمام جعفر الصادق عليه السلام (٨٣ـ١٤٨هـ) قائلًا[٣]:

---

(١) ينظر: إعلام الورى بأعلام الهدى:١/ ١٤٧.

(٢) الخصال:٣٦٧.

(٣) ينظر: تفسير مجمع البيان:٥/ ١٣٠.

أُثَـــامِـــنُ بِـالـنَّـفْـسِ اَلـنَّـفِـيـسَـةِ رَبَّهَـا
فَـلَـيْـسَ لَـهَـا فِي اَلْـخَـلْـقِ كُـلِّـهِـمُ ثَـمَـنُ
بِهَـا يُـشْـتَرَى اَلْجَـنَّـاتُ إِنْ أَنَـا بِعْتُهَا
بِـــشَيْءٍ سِـــوَاهَـــا، إِنَّ ذَلِـكُـمْ غَـبْـنُ
إِذَا ذَهَـبَـتْ نَـفْـسِي، بِـدُنْـيَـا أَصَبْتُهَا
فَـقَـدْ ذَهَـبَـتْ نَـفْـسِي، وَقَـدْ ذَهَـبَ اَلـثَّـمَـنُ

يعني أنَّ الإنسان إذا بذل نفسه وروحه في سبيل الدنيا ستضيع الدنيا ويضيع الثمن عليه، أمّا إذا بذلها في سبيل الله تعالى؛ سيبقى له الثواب والأجر العظيم، وهذه تجارة الله تعالى بأنْ أعطاهم أغلى ثمن وهي الجنّة.

وفي صباح نفس اليوم وأمام أعين زعماء قريش وأهل مكّة ينادي بالناس غدوة وعشيًّا مَن له أمانة عند رسول الله صلى الله عليه وآله فليأتي ويأخذها، حيث أودعوها عنده؛ لأنَّ قريش في الجاهلية كانت تناديه الصادق الأمين، فتستودعه أموالها وأمتعتها فيحفظها لهم عنده، وكذلك من يقدم مكّة في موسم الحج، فقد أدّى عليه السلام جميع الأمانات والحقوق، وفي اليوم الثالث وأمام أعين الناس خرج متوجّهًا إلى المدينة للالتحاق بأخيه وابن عمّه المصطفى صلى الله عليه وآله.

أمّا النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله فقد ورد المدينة المنوّرة ونزل في بني عمرو بن عوف بقُباء، فألزموه على دخولها، فقال صلى الله عليه وآله: ((ما أنا بداخلها حتّى يقدم ابن عمّي وابنتي، يعني عليًّا وفاطمة عليهما السلام))[1].

يقول ابن الأَثير الشافعيّ (٦٣٠هـ): ((تتابع الناس في الهجرة وكان آخر من

(١) أمالي الطوسي: ٤٦٩.

قدم المدينة من الناس ولم يفتن في دينه عليّ بن أبي طالب وذلك أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله أخّره بمكّة وأمره أنْ ينام على فراشه، وأجّله ثلاثًا وأمره أنْ يؤدّي إلى كُلّ ذي حقّ حقّه، ففعل ثمّ لحق برسول الله صلى الله عليه وآله))[1].

لماذا لم يُقتَلِ الإمامُ عليّ عليه السلام في ليلة المبيت؟

وفيه احتمالان:

الأوّل: الهدف من الخطّة هي قتل النبيّ صلى الله عليه وآله:

كان الهدف الأساس من الخطّة التي وضعت هي قتل النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، وبفقدهِ انتهت الخطّة وباءت بالفشل.

الثاني: الخوف منْ عليّ عليه السلام:

وهذا الاحتمال هو القوي، ونتبنّاه حيث أنّهم هابوه فهربوا منه خشية القتل، ولو كانوا يستطيعون قتله لقتلوه، والشاهد على ذلك:

أوّلًا: إنّهم قبل أنْ يهجموا عليه كانوا ((يقذفونه بالحجارة والحَلَم[2]، ولا يشكُّون أنّه رسول الله صلى الله عليه وآله، حتّى إذا برق الفجر وأشفقوا أنْ يفضحهم الصبح، هجموا على عليّ عليه السلام، وكانت دور مكّة يومئذ سوائب لا أبواب لها، فلما بصر بهم عليّ عليه السلام قد انتضوا السيوف [سلّوها من غمدها] وأقبلوا عليه بها، وكان يقدمهم خالد بن الوليد بن المغيرة، وثب له عليّ عليه السلام فختله[3] وهَمَز يده [عصرها]، فجعل خالد يقمِص قِماص[4] البَكْر [يرفس كالفصيل]، ويرغو رغاء الجمل، ويذعر ويصيح، وهم في عرج الدار

(١) أسد الغابة:٤/ ١٩.

(٢) الحَلَم (بفتح الحاء واللام) جمع الحَلَمةُ نبات ينبت بنجد في الرمل، لَهَا زَهْرٌ وَوَرَقُهَا أُخَيْشِنٌ عَلَيْهِ شَوْكٌ كأَنه أَظافير الإِنسان، وهي شَجَرَةُ السَّعْدان. لسان العرب:١٢/ ١٤٩.

(٣) ختله: خدعه، يقال: خاتل الصياد أي مشى قليلاً قليلاً لئلاّ يحس.

(٤) القماص: الضرب بالرجل.

[منعطفها] من خلفه، وشدَّ عليهم عليّ عليه السلام بسيفه فأجفلوا [فأسرعوا] أمامه إجفال النَّعم إلى ظاهر الدار، فتبصّروه فإذا هو عليّ عليه السلام، فقالوا: إنّك لعليّ؟ قال: أنا عليّ. قالوا: فإنّا لم نـردك))[1]. عندما نتأمل بالنصّ نلحظ أنهّم كانوا يقذفون رسول الله صلى الله عليه وآله بالحجارة والحَلَم وهو نائم، وأنّهم قالوا له: رأينا تضوّرك، فإنّا كنّا نرمي محمّدًا ولا يتضوّر، فهم فهموا أنّه عليّ عليه السلام فأرادوا أنْ ينقضّوا عليه إذ بدأ خالد وشهر سيفه، فمسكه عليه السلام ولطمه في الأرض وشدَّ عليهم فهربوا خائفين.

ثانيًا: صباح نفس اليوم المصادف الأوّل من ربيع الأوّل خرجَ عليّ بن أبي طالب عليه السلام ونادى في مكّة وأمام أهلها من عنده وديعة أو أمانة عند النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله ليأتي ويأخذها، واستمرّ على هذا الحال ثلاثة أيّام ينادي أهلها والكُلّ يسمعه من أجل ردّ الأمانات التي كانت عنده، بدون حامي أو شخص يصحبه، وفي اليوم الثالث خرج علنًا مع النساء (فاطمة الزهراء عليها السلام وأمّه فاطمة بنت أسد وفاطمة بنت الزبير بنت عبد المطلب) أمام أعين الناس وصناديد قريش متوجّهًا إلى المدينة المنوّرة؛ من أجل أنْ يلتحق بأخيه المصطفى صلى الله عليه وآله.

ثالثًا: ((عندما توجّهوا إلى المدينة وشارف منطقة ضَجَنان لحقوه سبعة فوارس من قريش مستلئمين[2]، وثامنهم مولى لحرب بن أميّة يدعى جناحًا، وقالوا له: أظننت أنّك يا غدر ناجٍ بالنسوة؟ ارجع لا أبا لك. قال: فإنْ لم أفعل، قالوا: لترجعنّ راغمًا، وعندما دنوا من النسوة والمطايا حال عليه السلام بينهم وبينها، فشدَّ عليهم بسيفه، وقال لهم عليه السلام: فمَن سرّه أنْ أُفري لحمه وأُريق دمه فَليَتعقّبني أو فَليَدنُ منّي))[3]. وهذا يدلّ على أنّه مطلوب لهم ولا بُدَّ منْ قتله.

---

(١) أمالي الطوسي: ٤٦٧.

(٢) استلأم الرجل: لبس اللامة، وهي أداة الحرب وعدتها.

(٣) أمالي الطوسي: ٤٧٠.

ليالي المَبِيت:

يتصوّر بعضٌ أنَّ حادثة ليلة المَبِيت هي المرّة الأولى والأخيرة التي نام فيها عليّ بن أبي طالب عليه السلام في فراش النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله ليقيه من المشركين بنفسه ابتغاء مرضاة الله تعالى وحفظًا لدين الإسلام، ولكن عند البحث والتحقيق وقفنا على أنَّ هناك ليالٍ كثيرة سبقتها، حيث كان عليه السلام ينام فيها في فراش المصطفى صلى الله عليه وآله ويقيه بنفسه، خصوصًا في شِعْب أبي طالب عليه السلام حينما قوطعت وحوصرت فيه بنو هاشم لمدّة ثلاث سنين ابتداءً من السنة السابعة من البعثة النبويّة الشريفة، حيث كان عمر عليّ بن أبي طالب عليه السلام سبعة عشر عامًا، يقول ابن شهرآشوب المازندرانيّ (٤٨٨ ـ ٥٨٨هـ): ((كان النبيّ صلى الله عليه وآله إذا أخذ مضجعه ونامت العيون جاءه أبو طالب فأنهضه عنْ مضجعه وأضجع عليًّا مكانه ووكّل عليه ولده وولد أخيه، فقال عليّ عليه السلام: يا أبتاه إنّي مقتول ذات ليلة.

فقال أبو طالب عليه السلام:

إصْبِرْنَ يا بُنيّ فالصّبر أحجى
كُلّ حَيٍّ مَصيرهُ بشعوبِ

قد بلَوْناكَ والبَلاءُ شديدٌ
لِفداء الحبيب وابنِ الحبيبِ

لِفداء الأغرّ ذي الحَسَبِ الثّا
قبِ والباعِ والفناءِ الرّحيبِ

إنْ تُصِبْكَ المنون بالنَبلِ تترى
فَمُصيبٌ منها وغَير مُصيبِ

فقال عليّ عليه السلام:

أَتَـــأْمُـــرَني بـــالـــصَّـــبْرِ في نَـــصْرِ أحمـد
فـوالـلـه مـا نِـلْـتُ الّـــذي نِـلْـتُ جـازعًـا

ولـكـنّـنـي أحـبـبْـتُ أنْ تَـــرَ نُـــصْرَتي
وتَـعْـلَـمُ أنّي لَـــمْ أزَلْ لَـــكَ طـائـعًـا

وسَـعـيـي لِـــوَجْـــهِ الله في ديـــنِ أحمـد
نـبـيّ الـهـدى الـمـحـمـود طِـفـلاً ويـافـعًـا[1]

وهذه الحادثة مذكورة في كتب وتفاسير الشيعة الإماميّة وأهل السنّة، وقد ذكرها الفتّال النيسابوريّ (٥٠٨)[2]، وفي موضع آخر يقول ابن شهرآشوب المازندرانيّ (٤٨٨ ـ ٥٨٨هـ): ((إنَّ عليًّا بات على فراش النبيّ في الشِعْب ثلاث سنين، وفى رواية أربع سنين))[3].

وليلةُ المَبِيت هي إحدى مناقب أمير المؤمنين عليه السلام المختصّة به، إذ بذل نفسه فداءً لأخيه ونفسه وحبيبه المصطفى صلى الله عليه وآله حفظًا لدين الله تعالى الذي جاء به، ليال كان ينام في فراشه فدا نفسه لسيّد الأنام حتّى آخر لحظة من حياته، ولولا مبيته ما تمَّ النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله تبليغ رسالته وأداء مهمّته الرساليّة.

---

(١) مناقب آل أبي طالب:١/ ٥٩.
(٢) ينظر: روضة الواعظين:٥٣.
(٣) مناقب آل أبي طالب:١/ ٣٣٥.

النتائج:

وصلنا إلى نتيجة مفادها أنَّ الإيثار فضيلة سامية ودرجة إيمانيّة عالية في التضحية، لا يصل إليها إلّا الذين تحلّوا بقوّة اليقين والصبر وشدّة المحبّة للغير، ولا يجسّدها إلّا ذو حظّ عظيم.

وأنَّ حادثة ليلة المَبِيت ليست المرّة الأولى التي نام فيها عليّ بن أبي طالب عليه السلام في فراش النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله ليقيه من المشركين بنفسه ابتغاءً لمرضاة الله تعالى وحفظًا لدين الإسلام، وإنَّما سبقتها ليال كثيرة كان ينام فيها عليه السلام في فراش المصطفى صلى الله عليه وآله يقيه بنفسه، خصوصًا في شِعْب أبي طالب عليه السلام.

وإنَّ ليلة المبيت هي إحدى مناقب أمير المؤمنين عليه السلام التي جسّدها على الواقع العملي بأروع صور التضحية والفداء، إذ فدا نفسه لحبيبه المصطفى صلى الله عليه وآله وحفظًا لدين الله تعالى الذي جاء به، ولعظمتها أنزل الله تعالى آية قرآنيّة فيها.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

١. أسد الغابة في معرفة الصحابة، علي بن أبي الكرم محمد بن الأثير، تح: علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.

٢. إعلام الورى بأعلام الهدى، الفضل بن الحسن الطبرسيّ، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المشرفة، ط١، ١٤١٧.

٣. الأمالي، محمد بن الحسن الطوسي، دار الثقافة للطباعة والنشر، قم المشرَّفة، ط١، ١٤١٤هـ.

٤. تاريخ اليعقوبيّ، أحمد بن إسحاق اليعقوبيّ، دار صادر، بيروت.

٥. تخريج الأحاديث والآثار، عبد الله بن يوسف الزيلعيّ، تح: عبد الله السعد، دار ابن خزيمة، الرياض، ط١، ١٤١٤هـ.

٦. التعريفات، علي بن محمد الجُرجانيّ، تح: جماعة من العلماء تحت إشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٣م.

٧. تفسير السمعانيّ، منصور بن محمد السمعانيّ، تح: ياسر بن إبراهيم، الناشر: دار الوطن، الرياض، ط١، ١٩٩٧م.

٨. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير، تح: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٢م.

٩. تفسير مجمع البيان، الفضل بن الحسن الطبرسيّ، مؤسسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.

١٠. تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، أحمد بن محمد بن مسكويه، تح: ابن الخطيب، مكتبة الثقافة الدينية، ط١.

١١. الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٥م.

١٢. الدرر في اختصار المغازيّ والسير، يوسف بن عبد الله بن عبد البر، تح: د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٤٠٣هـ.

١٣. روضة الواعظين، محمد بن الفتال النيسابوريّ، تح: محمد مهدي الخرسان، منشورات الشريف الرضي، قم المشرّفة.

١٤. سعد السعود، علي بن موسى بن طاووس، منشورات الرضي، قم المشرّفة، ١٣٦٣ش.

١٥. السيرة الحلبية، علي بن برهان الدين الحلبيّ، نشر وطباعة: دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٠هـ.

١٦. شرح الأخبار، النعمان بن محمد القاضي المغربيّ، تح: السيد محمد الحسيني الجلاليّ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المشرّفة، ط٢، ١٤١٤هـ.

١٧. شرح نهج البلاغة، عبد الحميد بن عبد الله بن أبي الحديد، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابيّ الحلبي وشركاءه، دمشق، ط١، ١٩٥٩م.

١٨. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حَمَّاد الجَوْهَريّ، تح: أحمد عبد الغفور العطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٨٧م.

١٩. العثمانية، عمرو بن بحر الجاحظ، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الجاحظ، المطبعة: دار الكتاب العربي، مصر، ١٩٥٥م.

٢٠. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود بن أحمد العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢١. فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، أحمد بن محمد بن عقدة الكوفيّ، تح: عبد الرزاق محمد حسين، ١٤٢١هـ.

٢٢. الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشريّ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابيّ الحلبي وأولاده، القاهرة، ١٩٦٦م.

٢٣. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد الثعلبيّ، تح: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.

٢٤. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، نشر أدب الحوزة، قم المشرّفة، ١٤٠٥هـ.

٢٥. المختصر في أخبار البشر (تاريخ أبي الفداء)، أبي الفداء عماد الدين إسماعيل، دار المعرفة للطباعة والنشر، المطبعة: شركة علاء الدين للطباعة، بيروت.

٢٦. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، عبد الله بن أحمد النسفيّ، تح: يوسف بديويّ، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

٢٧. معالم التنزيل في تفسير القرآن، الحسين بن مسعود البغويّ، تح: عبد الرزاق المهدي العك، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

٢٨. معجم الغني الزاهر، عبد الغني أبو العزم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١٣م.

٢٩. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الإعلام الإسلامي، قم المشرّفة، ١٤٠٤هـ.

٣٠. مفردات ألفاظ القرآن، الحسين بن محمد الراغب الأصفهانيّ، تح: صفوان عدنان داوووديّ، الناشر: طليعة النور، قم المشرّفة، ط٢، ١٤٢٧هـ.

٣١. مناقب آل أبي طالب، محمد بن علي بن شهرآشوب، طبعه محمد كاظم الكتبيّ، طبع في المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٩٥٦م.

٣٢. نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب النويريّ الشافعي، الناشر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ٢٠٠٤م.